المجلد الثامن والعشرون للعام ٢٠٢٤م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

سيميائية القصة القصيرة

لمحمد الغربي عمران قصة "الظلّ العاري" أنموذجاً

Semiotics of the short story
Muhammad Al-Gharbi Imran's story
"The Naked Shadow" is an example

بقلم الباحثة

علياء سعيد شارع القرقاح القحطاني

مرحلة الدكتوراه بقسم اللغة العربية وآدابها ـ كلية العلوم الإنسانية
جامعة الملك خالد ـ المملكة العربية السعودية

الترقيم الدولى/ ISSN: 2356 - 9050

العدد الأول من إصدار مارس ٢٠٢٤م
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٢٤/٦٩٤٠م

سيميائية القصة القصيرة
لمحمد الغربي عمران قصة "الظلّ العاري" أنموذجاً

علياء سعيد شارع القرقاح القحطاني

مرحلة الدكتوراه بقسم اللغة العربية وآدابها ـ كلية العلوم الإنسانية ـ جامعة الملك خالد ـ المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني : A.alkhtany@yahoo.com

الملخص

مرت مفاهيم النقد الأدبي بمراحل عديدة في العصر الحديث، مولّدة جملة من المناهج والنظريات المتباينة في أساليبها، وآلياتها، وأفكارها، وأدواتها الإجرائية، التي تعنى بدراسة النص من خارجه، أو من داخله، أو تلك التي تدرس قارئ النص، وكيفية تلقّيه، واستكناه مواطن القوة والضعف في الجهد النقدي التي تحمله تلك المناهج والاستراتيجيات، وما تقوم به من ممارسات نقدية؛ بغية الوصول لجوهر العملية الإبداعية، في خضم تعدد تلك المناهج، وعدم استقرارها، مع التأكيد على ضرورة وضوح تلك الرؤى وتكشّفها في وعي الناقد المشتغل على ضوئها. وقد جاء اهتمامي في هذا البحث الموسوم بـــ " سيميائية القصة القصيرة ــ في تجربة محمد الغربي عمران ــ قصة الظل العاري" أنموذجًا" وذلك لقراءة النص السردي قراءة داخلية، ومعرفة الآليات التي تنتظم من خلالها عناصره، وذلك عن طريق استنطاق العلاقات القائمة بين البنى الفاعلة فيه، والتي تسهم في صياغة دلالات القصة، وتبرز عوامل تشكّلها.

الكلمات المفتاحية: المنهج، السيميائي، الظل، العاري، الشخصيات، المربع، الأيقونة، التباين، التشاكل.

Semiotics of the short story Muhammad Al-Gharbi Imran's story "The Naked Shadow " is an example

Alia Saeed, Al-Qarqah Al-Qahtani Street
Doctorate level, Department of Arabic Language and Literature, College of Human Sciences, King Khalid University, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: A.alkhtany@yahoo.com

Abstract

The ideas behind literary criticism have evolved throughout time, giving rise to a wide variety of theories, methods, and procedural tools that address examining the text from the outside in as well as the inside out, as well as the reader's reception and comprehension of the text.

To get to the core of the creative process, these methods and techniques also assess the merits and demerits of the critical work they undertake and the critical practices they partake in.

Amidst the multitude and instability of these approaches, it is important to emphasize the need for clarity and disclosure of these insights in the consciousness of the critic working under their influence.

The focus of my research, titled "The Semiotics of the Short Story: In the Experience of Mohammed Al-Gharbi Imran - The Story of the Naked Shadow" serves as a model for internally analyzing the narrative text and understanding the mechanisms through which its elements are organized. This is achieved by exploring the relationships between the active structures within it, which contribute to formulating the story's meanings and highlighting the factors that shape it.

Keywords: approach, semiotic, shadow, naked, characters, square, icon, contrast, symmetry.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولا: السيميائية منهجاً:

يعد المنهج "حاجة نظرية وإجرائية، لا يمكن إهمالها، أو التغاضي عنها، أو التقليل من شأنها، لاسيما إذا أدركنا أن عصرنا الحضاري الراهن ــ وعلى وفق المقاييس كلها ــ هو (عصر المنهج) في كل الميادين المعرفية التي نتداولها ونشتغل بها، وبالتالي؛ فهو ضرورة للتنظيم، والرؤية، والكشف، والتفسير، والتأويل، والقراءة، والتداول." (١)

في المناهج النصية بما فيها السيميائية؛ " لم يعد همّ الدراسات النقدية البحث عن المعنى وتحديده، ومحاولة إرجاعه إلى نية الكاتب ومقاصده؛ لأن النقد في الأساس لا يتعامل مع النوايا والمقاصد، بل يتعامل مع كينونة النصوص، أي من حيث هو ــ النص ــ موجود، أما النوايا فجمالها الأخلاق، والإيديولوجيا، والفلسفة، وأصبح الاهتمام ينصب على النظام البلاغي، والتركيبي، والتداولي للنص، وبالتالي مقروء القراءة؛ ولكشف عالم لم يكشف من قبل، واستخراج الدلالات الممكنة لتجاوز السائد والمألوف." (٢)

(١) شيفرة أدونيس الشعرية ــ سيمياء الدال ولعبة المعنى، محمد صابر عبيد، منشورات دار الاختلاف، ط١، ٢٠٠٩م، ص١٩.

(٢) نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، حسين خمري، منشورات الاختلاف، الجزائر،٢٠٠٧م، ص١٣ــ ١٤.

جذور السيميائية في الوعي الإنساني:

تمدّنا المعاجم العربية القديمة بتعريفات لجذور (س.ي.م) و(س.م.و) تتقارب في المعنى الحقيقي للعبارات، فمما ذكره ابن منظور في لسان العرب: "سيماء الوجه: حسنُه"، مستشهدًا بقول الشاعر: (البحر الطويل)

غُلام رماه اللهُ بالحسنِ يافعًا له سيمياءٌ لا تشقُّ على البصر"[١]

في السياق ذاته أورد ابن دريد في كتابه" جمهرة اللغة" السيمياء ممدود، والسيما مقصور، وهو علامة يعلِّمون بها أنفسهم في الحرب...والسيما والسيميائيات واحد، وهي علامة يعلم بها الرجل في الحرب، ومنها قوله جلّ وعزّ: {مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ} [آل عمران:١٢٥] وقوله تعالى: {سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ} [الفتح:٢٩] ."[٢]

وبالتدرّج قدمًا نحو المعنى الاصطلاحي؛ تنزاح عبارة " السيميائي" عن متعلقاتها الحسيّة الظاهرة باعتبارها علامة" على وجوه الأشخاص أو أجساد الكائنات لتحليل كل ما هو خفيٌّ سريٌّ، في هذا المقام تلتبس بعلوم السحر والطلسمات، وقد خصص لها ابن خلدون بابًا في " المقدمة"، تردّد بعده في مختلف المعاجم، إذ ورد في (المعجم الوسيط): "السيميا: السحر، وحاصله إحداث مثالات خيالية لا وجود لها في الحس."([٣])

---

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، مج ١٢، د.ت، ص ٣١٢.(مادة سوم)

(٢) جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، تح: منير يعلي، دار العلم للملايين، بيروت، ج٢، ١٩٨٧م، ص٨٦٣ .

(٣) المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج٢، د.ط، د. ت، ص٤٨٧.

وقد قدّم الجاحظ دليلًا قويًّا على حضور السيمياء في الدراسات العلمية القديمة وإن لم تكن بشكلها التي أضحت عليه في العصر الحديث، حيث عرّف علم البيان بأنه:" اسمٌ جامعٌ لكلِّ شيءٍ كشَفَ لك قِناعَ المعنى، وهتكَ الحِجَاب دونَ الضمير، حتّى يُفْضِيَ السّامعُ إلى حقيقته، ويَهجُم على محصولِهِ كائناً ما كان ذلك البيانُ، ومن أيِّ جنسٍ كان الدّليل؛ لأنّ مَدَارَ الأمرِ والغايةَ التي إليها يجري القائل والسّامع، إنَّما هو الفَهْمُ والإفهام؛ فبأيِّ شيءٍ بلغْتَ الإفهامَ وأوضَحْتَ عن المعنى، فذلك هو البيانُ في ذلك الموضع."[1] كما ذكر العلامات والإشارات التي تدل على المعنى، وجعلها خمسة أشياء: اللفظ والإشارة ، والعقد، والخط والحال. .[2] والنصبة هي الحال الناطقة بغير لفظ، والمشيرة بغير يد

(١) البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي،القاهرة، ج١، ص ٧٥-٧٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٨٤.

السيميائية في الفكر النقدي الحديث:

إن "القول بمصطلح (semiotique) يستدعي إدراك المفهوم الإغريقي للحدّ (semeion) الذي يحيل على (سمة مميزة، أثر، علامة منذرة، دليل، علامة منقوشة أو مكتوبة، بصمة، تمثيل تشكيلي)، هذه العلامات اللغوية وغير اللغوية هي الموضوع المفترض لعلم جديد، نشأ بين نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، يسمى السيميائية:semiotiq حينًا، و(السيميولوجيا:Semiology حينًا آخر، بإسهام أوروبي وأمريكي مشترك."[١]

فالسيميولوجيا (السيميوطيقا) ــ لدى الدارسين ــ تعني علم أو دراسة العلامات (الإشارات) دراسة منظمة منتظمة، ويفضّل الأوربيون مفردة (السيميولوجيا)؛ التزامًا منهم بالتسمية السوسيرية، أما الأمريكيون فيفضّلون (السيميوطيقا) التي جاء بها المفكر والفيلسوف الأمريكي تشارلس ساندرز بيرس، في حين يدعو العرب ــ خاصة أهل المغرب العربي ــ إلى ترجمتها بـــ (السيمياء)؛ محاولةً منهم في تعريب المصطلح.(٢) وقد ظهرت السيميائية بوصفها منهجًا نقديًّا في العالم العربي في العصر الحديث، عن طريق الترجمة، والمثاقفة، والدرس الجامعي، وقد بدأ حضور السيميولوجيا في دول المغرب العربي ابتداء، لتتلقفها البلاد العربية الأخرى بالدرس والتطبيق، وذلك في ثمانينيات القرن العشرين.

(١) مناهج النقد الأدبي، د. يوسف غليسي، جسور، الطبعة الأولى،٢٠٠٧م ، ص٩٣.

(٢) دليل الناقد الأدبي ،د.ميجان الرويلي ،د.سعد البازعي،المركز الثقافي العربي ،ط٢٠٠٥،٤م، ص١٧٧.

أهداف السيميائية:

" تبحث السيميائية عن المعنى، من خلال بنية الاختلاف ولغة الشكل، والبنى الدالة، وهي لذلك لا تهتم بالنص ولا بمن قاله، وإنما تحاول الإجابة عن تساؤل وحيد، هو: كيف قال النصُ ما قاله؟"(١)

"وتسعى السيميائية إلى تحويل العلوم الإنسانية من تأملات وانطباعات، إلى علوم بالمعنى الدقيق للكلمة، ويتم لها ذلك عند التوصل إلى مستويات من التجرّد، يسهل معه تصنيف المادة الظاهرة ووصفها، من خلال أنساق من العلامات، تكشف عن الأبنية العميقة التي تنطوي عليها، ويمكنها هذا التجرد من استخلاص القوانين التي تتحكم في هده المادة."(٢)

(١) مدخل إلى المنهج السيميائي، جميل حمداوي، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج٣، مارس ١٩٩٧م، نسخة إلكترونية.

(٢) علم الدلالة عند العرب، دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة، عادل فاخوري، دار الطليعة، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م، ص٧٠.

طرائق التحليل السيميائي:

التحليل العاملي:

استلهم جريماس منهجية بروب، وصاغها؛ لتأكيد الالتحام العضوي بين القيم التعبيرية، والمضامين التي تنطوي عليها، وقرّر أن النص الأدبي يخضع لآلية منطقية، تحكمها شبكة من العلاقات والعلامات التي تنظم النص، وبناء عليه فإن استخراج المعنى يتم من خلال كشف شبكة العلاقات القائمة في صلب النص، وحصرها، بربط الوحدات السردية، وفق الغايات المقصود بلوغها؛ لأن جوهر الدلالة وعلاقتها بالخطاب الأدبي علاقة توليدية، حيث يكون المعنى رهن ديمومة النص، أي البنية المتكاملة المغلقة، التي تحكمها عناصر داخلية منفصلة عن العوامل الخارجية، إذ تتحرك وتتوزع ضمن محاور دلالية، بحكم امتلاكها الطاقة على تغيير الدلالات الأصلية المشحونة فيها، ولعل الهدف من هذه العملية هو ربط صريح النص بباطنه، من خلال مجموعة من الملفوظات المتتابعة، المكونة من وحدات لغوية متماسكة، مندمجة ضمن الخطاب، الذي يعد مشروعًا منظما، يومئ من طرف خفي بوجود عمليات دلالية كامنة في المستوى العميق.(١)

ويتم رسم خطاطة النظام العاملي على هذا النحو:

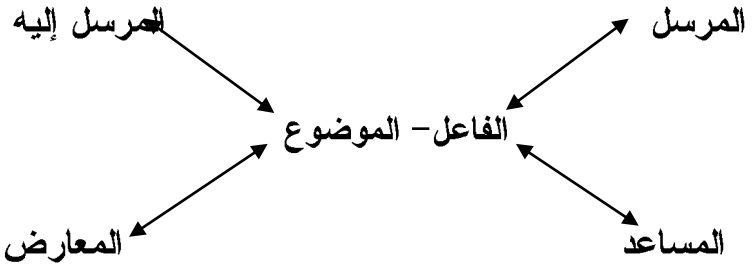

(١) ينظر: تحولات المعنى المراوغ ،د. أبو اليزيد الشرقاوي، إصدارات نادي الباحة الأدبي، ص٨٠ــ ٨٣.

ويهتم النموذج العاملي عند غريماس بوصف بنية العوامل القائمة جزئيًّا أو كليًّا في النصوص القصصية، بناء على الأدوار السردية التي تؤديها، وبناء على العلاقات التي تقوم بينها، ويعتمد هذا النموذج على ستة عوامل، هي:(١)

- العامل الذات: وهو الذات العاملة (البطل)، الذي يعمل للحصول على مرغوبه.
- العامل الموضوع: وهو الذي تتجه إليه رغبة الذات العاملة (البطل).
- العامل المرسل: وهو الذي يدفع البطل للقيام بمهمة أو عمل.
- العامل المرسل إليه: وهو الذي يتجه إليه العمل المنجز.
- العامل المساعد: وهو الذي يساند الذات في مهمتها.
- العامل المعارض: وهو الذي يعوق الذات عن الحصول على رغبتها.

- **المربع السيميائي**:

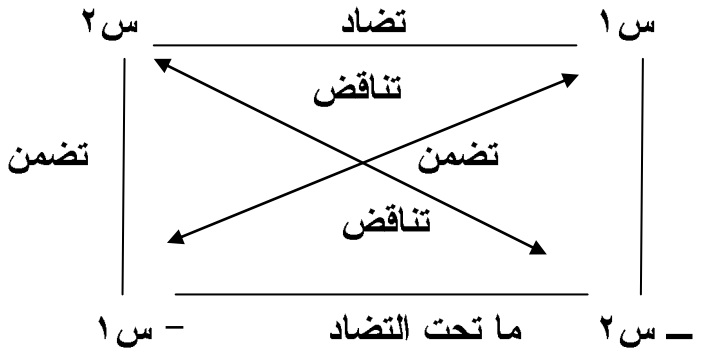

وخصص جريماس المربع السيميائي؛ لتجسيد المعنى الذي ينبني على ثلاث علاقات منطقية:

(١) يُنظر: حركية النموذج العاملي، واستراتيجيته في الخطاب الروائي–رواية حائط المبكى لعز الدين جلولي أنموذجا: فاطمة الزهرة تلعيش، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة زيان عاشور، الجلفة–الجزائر ص٣٥–٣٦.

١ــ التضاد بين [س١وس٢] وبين [س٢وس١].

٢ــ التناقض بين [س١وسَ١] وبين[س٢وسَ٢].

٣ــ التضمين بين[س١وسَ٢] وبين[س٢وسَ١].

وميز هذا المربع أنــه أداة نافعــة لتصــوير الدلالــة الســيميولوجية الأساسية، أو المتضادات الموضعية التي ينهض عليها النص، كما أنه يتيح لنا التعرف على الحركات النصية عن طريــق تحديــد المراحــل الأساســية أو التحولات الحادثة في النص. (١)

ـ العلامات الأيقونية:

لقد احتلت الأيقونة احتلــت مكانــة مهمــة فــي مجــال الدراســات السيميولوجية، "ويمكن ملاحظة أن الخطاب النقدي حول الأيقونة يفتح الباب مشرعًا أمام لفظ أيقون icon لينفتح عالم المعنى فــي الــنص علــى آفــاق لانهائية من التداعي، وأمام لا محدودية إثارة الدلالات الأيقونية؛ قرّر محمد مفتاح أن الأيقونة نوعان: مطابقة، و اعتباطية، وذهب إلى ضرورة وجــود عنصر المشابهة، أو المماثلة، كأحد المكونات الجوهرية للأيقون، ومن دون هذا الشرط ، فإن الأيقون ليس أيقونًا، وقد وسع عبد الملك مرتاض من شأن الأيقونة حتى شملت النواحي المعنوية، والذي ذهب إلى بيان هدف التحليــل بالأيقونة، إلى أنه التمكين لاستحضار شيء بعيد، أو غائب، أو متعــذر، أو خارجي، بما يطابقه، لا بما يشــابهه؛ رؤيــةً، وذوقًــا، وشــمًّا، ولمسًــا، وسمعًا،"(٢)

(١) ينظر: تحولات المعنى المراوغ، ص٨٥.

(٢) المرجع السابق، ص٩٩.

ـ التحليل المعنوي:

ثنائية التشاكل والتباين:

أولا: التشاكل:

نفهم من (جريماس) أنه تكرار المقولات المعنوية، (وقد نص على أنه هو التشاكل)؛ مما يعني أن كل النص تشاكل، فالنص ينحل إلى مقولات بسيطة يتم ترديدها، لكن بصورة لفظية، وإذا أخذنا بمفهوم (راستي) فكل نص به تكرار لفظي أو معنوي،(بنصه صراحة على أنه كل تكرار لوحدة لغوية أو معنوية)، يكون من باب التشاكل، ومن كلام (جان ديبوا) نفهم أنه تكرار الصيغ الصرفية، والمفهوم من(الفاسي الفهري)أنه تكرار الخصائص، والعلائق، والأمكنة، والأفراد، ونفهم من كلام محمد مفتاح أنه تكرار زماني، ومكاني، وتكرار إبستمولوجي، وتكرار إستاطيقي؛ مما يدفع إلى التأكيد على أن جوهر «التشاكل» هو التكرار، والمشاكلة، ولعل ذلك تفسير ترجمته لدى بعضهم: التماثل، والنظائر الدلالية، والمتجانسات اللفظية، ففي هذه البدائل اللفظية تظهر بوضوح فكرة التشابه وتكرار المتشابهات."[١]

ثانياً: التباين:

"التباين يتم الدفع به بوصفه مقابلاً للتشاكل، ولا يحظى بدراسة إجرائية ويذهب (د. مرتاض) إلى أنه يعني المصطلح التراثي (التقابل)، ورأى أن التباين في المعنى (المعنوي) سيرة تعتور سلوك كل المبدعين، وقال بأن مصطلحات مثل: الخبر والإنشاء والطباق والمقابلة بمفاهيم القدامى، يمكن أن تكون فروعاً تحت التباين." [٢]

---

(١) تحولات المعنى المراوغ ، ص٨٨.

(٢) نفسه ، ص٩٢.

ثانيا: قصة (الظل العاري) قراءة سيميائية

قصة (الظل العاري) للكاتب اليمني محمد الغربي عمران، وهو من مواليد محافظة ذمار، في عام ١٩٥٨م، وهذه القصة القصيرة صدرت عن الهيئة العامة للكتاب بصنعاء عام ١٩٩٨م، وهي تقع ضمن مجموعة قصصية للكاتب، تحمل العنوان ذاته (الظل العاري)، وهي من القصص ذات الحدث الكابوسي، ويعد هذا الاتجاه ــ الذي اقترن بالكاتب التشيكي فرانز كافكا Franz Kafka والذي نشأ مع نهاية الثلث الأول من القرن العشرين ــ من روافد التجريب، والتعبير الكابوسي" يعني تصوير الجو غير الواقعي بطريقة تبدو واقعية للغاية، وهذا أشبه بما يحدث في الكابوس، حيث نعاني أحداثًا، لا يمكن تحمّل غرابتها، ومع ذلك تبدو كأنها تقع فعلاً، وهذا الجمع بين النقيضين هو ما يميز الكابوس."[١]

(١) مع القصة القصيرة، يوسف الشاروني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م، ص ٢٧٣.

التحليل عبر المستويات:

أولاً: سيميائية النص الموازي/ العنوان:

العنوان هو " المفتاح الإجرائي الذي يمدّنا بمجموعة من المعاني، التي تساعدنا في فكّ رموز النص، وتسهيل مأموريـــة الـــدخول فـــي أغـــواره، وتشعباته الوعرة."[١] وقد" تتعدد العنوانات بحسب ما يقتضيه النصّ، فتجـــد العنوان المفرد، والجملة، والمعرّف والمنكّر، وغيرها من العنـــاوين التـــي تكون عادة محملة بالطاقات السيميائية، التي تضيء الكثير مـــن مســـارات النصّ الغامضة، فضلاً عن إعطاء المتلقي أكبر فرصة للتأويل، وهـــي فـــي الوقت ذاته مكمّلة للنصّ، ومستكملة لطاقاته الســـيميائية الكثيفـــة، الدالـــة والموحية."[٢]

الناحية اللُّغويّة:

إن العنوان (الظلّ العاري) مكوّنٌ من مفردتين، كلتاهما معرّفة بـ (أل)، فالوضع الذي تصوّره القصّة معلومٌ، وواضحٌ للعيان، يشبه أحد المعالم التي ضمّتها القصّة بين جوانبها، من مثل: كشك التحرير ــ مارد الثورة، المتحف الحربي، ساعة ميدان التحرير، شارع القصر.

إن لفظتي العنوان (الظلّ) و(العاري)، قد وردتا بصـــيغة المـــذكّر؛ لأنّ الأمر المستور والوضع المقصود المحتجَز خلف هذه القصـــة؛ لا يعـــدو أن يكون مذكّرًا أو في حكم المذكر، باعتبار أنّ زمام الأمور في أمور الســـلطة

(١) السيميوطيقا والعنونة، د. جميل حمداوي، عالم الفكر، الكويت، مج ٢٥، ع ٢٣، ١٩٧١م، ص ٩٠.

(٢) سيميائية العنونة من عتبة التسمية إلى فضاء المتن الشعري، د. علي صليبي مجيد، مجلة كلية التربية الأساسية، بابل، العراق، ع ١٢، ٢٠١٣م، ص ٢٢.

في تلك الفترة في اليمن بيد الذكور، والفاعل المحرك للأوضاع التي تشهدها صنعاء كان فاعلا ذكوريًّا؛ متمثلا في أصحاب القرار والأمـــر، وذوي المـــال والنفوذ.

أما من الناحية الاشتقاقية؛ فقد جاءت لفظة (الظلّ) جامدة، في حين كانت لفظة(العاري) مشتقّة، وقد اكتسب الجامد من المشتقّ حركته وتحرّره، وكـــأنّ كلّ أمور المجتمع باتت تُوائِم بين المتناقضات/ المتضادات، فإلى جانب الشخص المكافح، الذي يسعى ليتخلص من العوائق، ويبحث بكل نزاهـــة عـــن الحيـــاة الكريمة؛ هناك شخصٌ متراخٍ كسول، اعتاد الخنوع والاستسلام، وكان عالـــة على مجتمعه، وعليه فلنقيس؛ هذا مواطن مخلِص، وذاك دخيل طمّاع.

وكلتا المفردتين حسيّة، فالظل من المفردات الحســـية، حيـــث يمكـــن مشاهدته، وأيضا لفظة العاري، وفي ذلك دلالة على ما آلت إليه الأوضـــاع في اليمن؛ إذ تضخّمت وتفاقمت حتى لامست الأيدي فضلاً عن العيون التـــي ترمقها، والمشاعر التي تأباها، والأنفاس التي اختنقت بأبخرتها.

الناحية التركيبيّة:

* العنوان جملة اسميّة، وفي ذلـــك دلالـــة علـــى ثبـــات ذلـــك الوضـــع واستمراره[الجمل الاسميّة تدلّ على الثبات، والجمل الفعليّة تدلّ على التجدّد]، و في العنوان انزياح ؛لأنّه لا يوجد ظلّ عارٍ ، فالظلّ اكتساء، وإذا كان الاكتساء ذاته عاريًا متجرّدًا ،كان ذلك أكثر دلالة على عموم ذلك الوضع الذي تجرد من أبسط ما يضمن الاحتواء للمواطن، بما هو حق مكفول لع؛ تمنحه له الطبيعـــة / الشمس/ الظل، دون عناء ولا تفضّل من أحد، مع ما يحيله الظلّ من رمزيـــة للحاكم، وللحاشية (لجنود)، وللمبدع بوصفه لسان حال الأمة، وللتاجر، ورمزية ــ في الوقت ذاته ــ للهوية والانتماء، بل للحقيقة الغائبة.

ـ علاقة العنوان بمتن النص القصصي:

وللعنوان علاقة جليّة بالمتن القصصي، فقد تحوّل علوان إلى ظلّ، وليس إلى حقيقة، وانتهت محاولاته لاقتناء الصحف إلى ظلّ (تعرّض للطرد من صاحب الكشك ــ صدّ من المجتمع وتفكّك في لبناته)، وقد أفضت خطته للتمدّد تحت ظلّ المارد إلى ظلّ. (نَهْر الجنديّ له ــ قسوة وتناقض)، وتحوّلت محاولته لتحريك الساعة إلى ظلّ (وهم)، وانتهت رحلة عبوره للشارع المقابل إلى ظلّ. (استحواذ الآخر المستبدِّ على ثرواته، وحتى أبسط خصوصياته (ثيابه البالية) ظلم واجتياح واستعمار)، على اعتبار أنّ الظلّ الأمل المفقود، والذي بات وهمًا وسرابًا، شأنه في ذلك شأن النهايات المفتوحة في أحداث قصة علوان ــ رمز المواطن.

وقد تكررّ لفظ (ظلّ) في القصّة (يبحث عن ظلّ (ص١٨٩) ــ أعجبه الظلّ المجاور(ص١٨٩) ــ وجود ظلّ كبير (ص ١٩٠) ــ أطراف الظلّ (ص ١٩٠) ــ يبحث عن ظلّ بعد أن حرّرته اليرقات(ص١٩٣). وجاء بصيغة العاري في المتن على هيئة حال مفردة نكرة، مرّة واحدة، في قوله: (يجوب الشوارع عاريًا) [١].

(١) قصة الظل العاري، محمد الغربي عمران، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، اليمن، ١٩٩٨م، ص١٩٣. وجاء بلفظ (عارٍ) اسم منقوص حذفت ياؤه، والصواب أن ياءه لا تحذف في هذا الموضع من الجملة في القصة؛ لأنه جاء منصوبا، فياء المنقوص تحذف في حالتي الرفع والجر، ويعوض عنها بتنوين العوض، من مثل: قولنا: هذا كلام عارٍ من الصحة. خبر، ومررت بعارٍ من الملابس، مجرور بحرف الجر، أما في حالة النص؛ فإنها تثبت (عاريًا).

ثانياً: السيميائية عبر عناصر النصّ السردي:

١- سيميائية الأحداث:

القصة ليست من القصص ذوات الحدث الواحد، بل هي ذات أحداث متعدّدة، من مثل:

ـ وقوف علوان أمام الكشك، ورغبته في الشراء، وقسوة صاحب الكشك عليه. (ص ١٨٨ـ ١٨٩)

ـ جلسته في ظلّ مارد الثورة، وموقف الجندي منه. (ص ١٨٩ـ ١٩٠)

- جلسته عند المتحف الحربي، وما بدر من جندي البوّابة تجاهه. (ص١٩٠)

- جلسته أمام الساعة المشنوقة، وموقف الناس، والجنود منه. (ص١٩٠ـ ١٩٢)

- وقفته في شارع القصر، وصراعه مع اليرقات، وخلاصه منها. (ص١٩٣)

كلّ هذه الأحداث كانت تنطوي على أمرٍ مشترك بينها، ممّا أكسب القصّة ترابطًا يشعر به المتلقي عند قراءتها، إنّه: البحث عن الظل/ الذات/ الآخر/ الأمن/ الحلم، والرغبة في تحقيق الهوية المنشودة.

وكل حدث من هذه الأحداث ينتهي بحالة من الانكسار، وتعميق مأساته(علوان) أكثر؛ فأكثر.

٢- سيميائية الشخصيات:

أ- الشخصية الرئيسية:

هي شخصيّة علوان.

ـ التحليل السيميائي للعلامات الخارجية للشخصيّة:

- دلالة الاسم (ص١٨٨):

اسم علوان اسم له من الانتشار نصيب، لاسيما في محيطه اليمني، وهو من العلوّ والسموّ، وشخصيّة علوان بملامحها الخارجيّة (انتصب)، و(قامته المديدة) فيها بعض سمات هذه العلامة، وفي الجانب المعنوي؛ كما يبدو من الحصيلة النهائية للقصّة أنّه شاب طموح، همّته عالية، وثقافته واسعة.

- قامته المديدة(ص١٨٨):

وفي هذا دلالة على أنه لا يزال شابًّا، لا إنحاء في ظهره ولا اعوجاج، وإذا كان هذا هو حال الشباب ــ أمل الأمة وعماد مستقبلها، وما يعانيه من ضياع، وتشتّت، وفقدان للهُوية؛ فكيف سيكون حال غيره من أفراد المجتمع! وهنا تبرز المفارقة.

- ملابسه الداكنة(ص١٨٨):

دلالة على فقره، وسوء حاله ماديّا؛ إذ أنّه لم يرتدِ ملابس ذات ألوان فاتحة، تخفّف من حرارة شمس الظهيرة، فضلاً عن كون تلك الألوان الداكنة مما يتحمل الاتساخ، فهو من الفقر والعوز بحال لا تسمح له باقتناء مساحيق التنظيف، واستعمالها، علاوة على مناسبة تلك الملابس الداكنة للارتداء في فصول السنة جميعها، فهو لا يملك القدرة المالية لامتلاك ملابس متنوعة تناسب كل فصل.

ــ يتحسّس جيوبه (ص١٨٩):

دلالة على أنّ لبسه الداكن يحوي جيوبًا، لكنّها خالية من المال، وهذه الجيوب قد جرت العادة أن يكون بها نقودًا؛ وهنا ــ أيضا ــ مفارقة.

- نظرات مسطّحة(ص١٨٩):

دلالة على اللّغة المعبّرة في العيون المنكسِرة، وقد أعياها الفقر، وسوء الأوضاع، مع قسوة المحيط الخارجي.

- تمدّد.. أحسّ ببرودة الأحجار تحت كتفيه(ص١٨٩):

توحي هذه العبارة بأنّه قد مكث واقفًا وقتًا طويلاً، بدليل (زاد في الذوبان) فهو متعَب، وفي قوله :(أحس ببرودة) نتيجة طبيعية لحرارة الشمس، التي كانت قد أحرقت جلده بلهيبها، بدليل: تحت غبار شمس الظهيرة(ص١٨٨) ــ أعيته شمس صنعاء (ص ١٨٩) ــ أعجبه الظل المجاور(ص١٨٩) ــ متسائلاً عن سر ثبات الشمس فوق رأسه(ص١٩٠) ــ التسلل إلى أطراف الظل(ص١٩٠).

ــ آخذًا وضع جلسة الأرنب(ص١٩١):

الشخصية من الخارج، وبهذه الجلسة، تبدو ساذجة، شديدة العفويّة، لا تأبه بما يدور حولها؛ لشدة انغماسها في الخيال (ترك ليديه عبث الهواء، وهو يحاول إصلاح الساعة عن بعد(ص١٩١).

ــ التحليل السيميائي للعلامات السيكولوجية للشخصية:

تبرز المدلولات السيكولوجية النفسية لشخصية (علوان) من خلال عديد من الدوالّ الذي حملها المتن القصصي، من مثل قوله: "يتحسّس جيوبه ــ ص١٨٩" هنا فعل لاشعوري مع علمه السابق بخلوّها، فهو لا يملّ ولا ييأس، وكأنه من كثرة الخيال الذي يعيشه، والعيش في عالم الأحلام بات يظن أن بحوزته مالاً.

أما دلالات الابتسام في: "وابتسم جازمًا(ص١٨٨) – يبتسم في وجه صاحب الكشك(ص١٨٩) ــ سقطت من ملامحه ابتسامة(ص١٨٩)ــ نهض مبتسمًا(ص١٩٠) ــ تهلّلت ملامحه بابتسامة عريضة(ص١٩١) ــ رسم على ملامحه الشاحبة ابتسامة(ص١٩٢) ــ تركته سعيدًا فرحًا بالنجاة(ص١٩٢)"؛ فهي علامات توحي بأنه شخص متفائل، لبق، بشوش، وإن كانت صعوبة الحياة قد أعيته؛ لكنه لا يزال يبتسم، وهنا مفارقة جليّة.

وتكمن الدلالة النفسية لقوله: (اليوم سأشتري ــ ص ١٨٩) هنا يتجلى الإحساس بالفقر والحاجة، الممتزج بالأمل البائس، فهو بقوله (اليوم) يوحي بأنه قد جاء كثيرًا في الماضي؛ ولكنه لم يشتر.

وفي قوله: "لم ينتظر تعليقات أحد ــ (ص١٨٩)" وبناء على تكراره تلك التجربة؛ لم يعد يأبه بردود الأفعال، فهو شخصيّة ذات إصرار وصبر، بدليل أنّه قد عاش الموقف من قبل "فهو يعرفها مسبقًا ــ (ص١٨٩)"، ولم يتسلل اليأس بسهولة إلى داخله، وفي قوله: "لم ينتظر تعليقات أحد ــ لم ينتظر الجواب (ص١٩٠)" دلالة على أنه منطلِق دؤوب، لا يكلّ ولا يَملّ، ولا رغبة لديه في انتظار النتائج، وتأملها، كما نلمس كم قوله: "ومضى يبحث عن...(ص١٨٩) ــ نهض(ص١٩٠) ...يجوب الشوارع(ص١٩٠) ــ نهض مبتسمًا (ص١٩٠)" أنه إنسان نشيط، يكره الاستسلام، والوقوف عند الجزئيات التي لا جدوى منها عنده، ولكن مع هذا كله؛ لا يجد المحضن المناسب لتلك الطاقة المهدرة، فلا توجد فرص عمل، ولا ظروف مهيأة؛ لاحتواء تلك القدرات الفذة.

وتدلنا كثير من الجزئيات في المتن القصصي على أنه شخصيّة متأمّلة، مجرِّبة، تُعْمِلُ العقلَ، متسائلة، تريد أن تغيّرَ الأمور وتُصلحَها للأفضل، " ومضى يبحث(ص١٨٩) ــ مر بجوار مارد الثورة، أعجبه الظل المجاور؛ تمدّد(ص١٨٩) ــ نهض بعد عدة ركلات يجوب الشوارع(ص١٩٠) ــ هيه آ كم الساعة؟ ... سأل آخر: كم الوقت؟ (ص١٩٠) ــ تأمل الساعة المشنوقة(ص١٩٠) ــ تذكّر موضوعًا قرأه منذ سنوات ــ لماذا لا أجرّب(ص١٩٠)".

وتحمل كثير من الملفوظات الدلالية في القصة مدلولات توحي بأنه شخصيّة حالمة، نقيّة السريرة؛ تحب الإيثار، ومساعدة الآخرين: "لم ينتظر تعليقات أحد فهو يعرفها مسبقًا سقطت من ملامحه ابتسامة ومضى(ص١٨٩) ــ مد له الجندي بريال! أخذه ووضعه على الحجر المجاور(ص١٩٠) ــ وعلى أن أساعده(ص١٩٠) ــ كان علوان مندهِشًا... توقّع أن يحملوه فرحين على الأكتاف (ص ١٩٢)".

وفي قوله: "أخذ يزحف وهي عالقة به، حتى وصل إلى أطراف الرصيف الآخر(ص١٩٢)" هو مكافُح، يأبى الاستسلام والخضوع.

أما المدلول الذي يشي به قوله: "يتأمل جسده، يتفقد أعضاءه(ص١٩٢)" فيتلخّص في أنه لا يملك مالاً، ولا ما يمكن أنْ يُنهب، إلاّ أنّه بلغ به الخوف من المستبدّ الجَشِعِ أن يخاف حتّى على أعضائه، فهو لم يترك له حتى ثيابه البالية.

وفي دلالة قوله: "تذكّر موضوعًا قرأه منذ سنوات (ص ١٩٠)" ما يوحي بأنه ذكيّ، يتمتّع بذاكرة قويّة، محب للقراءة والاطلاع.

ب- الشخصيّات الثانويّة/ الآخر:

يبرز الآخر من خلال المتن القصصي كما في قوله: "تجمّع حول علوان كثيرون (ص١٨٨) ــ الجميع يتفرسون بملامح ممجوجة، يبحثون.. (ص١٨٨) ــ ثم يلتقط كلّ منهم(ص١٨٨) ــ الكلّ يأتي ليلتقط حاجته(ص١٨٩)" إن هؤلاء الناس منهمكون في واقعهم، يسعون لقضاء حوائجهم الشخصيّة، غير آبهين بمن حولهم، ولا بما يحيط بهم، فهم في عزلة عن بعض، وبمنأى عن مساعدة الآخرين، وقد تشتت قلوبهم، ومشاعرهم تجاه بعضهم بعضًا.

وفي قوله:" أحدهم التقط عشر صحف، ولم يكتف، حتى ظن علوان أنه سيحمل كل ما في الكشك(ص١٨٨)" دلالة على عمق ثقافة ذلك الآخر، كما تدل على تفاوُت الإمكانيّات في المجتمع، فهذا الشخص قادر على شراء عشرٍ من الصحف، في حين أنّ علوان لا يستطيع شراء واحدة، مع شدّة رغبته في ذلك، ولكن تقف ظروفه، وإمكاناته عائقًا أمام ذلك الحلم.

كما حضر الآخر/ صاحب الكشك في القصة؛ إذ يقول: " وابتسم جازمًا أنه لا يجيد القراءة (ص ١٨٩)" فهو (أُمّيّ)، وهنا مفارقة، فالكشك يضمّ الكتب، والصحف، والمجلاّت المختلفة، وصاحب هذا الكشك لا يُجيد قراءة أيّ شيء فيه! وذلك البائع " الذي يراقب كلّ شيء بعيون قطّ متمرِّس(ص١٨٩)" هو شخص متنبّه، وهو في الوقت ذاته قاسٍ وبخيلٌ "ارتفع صوت من داخل الكشك يتوعّد ثم انتزعت الصحيفة من بين يديه(ص١٨٩)"، والعلاقة بينه وبين (علوان)علاقة تعارُض وتناقُضٍ، علاقة مثقّف بجاهل، علاقة فقير بغنيّ: (أيقظه صوت صاحب الكشك، أدرك علوان أنّه فشل في خلق علاقة معه...توسّل إليه...ص ١٨٩)".

كما جاء الآخر/ جنديّ الحراسة عند مارد الثورة في القصة، وهو ذو شخصيّة متسلّطة قاسية، حرمت علوات من أبسط الحقوق/ الظل (نهره جندي الحراسة ... نهض بعد عدة ركلات(ص١٩٠)" والعلاقة بينه وبين (علوان) ليست جيدة؛ فهو مصدر قلق له، ومعزّز لمعاناته المستمرّة، (وهنا مفارقة) فهو جنديّ يقف لحراسة مارد الثورة ــ رمز الثورة الدّالة على العدالة ــ ولكنّه أصبح عاملاً من عوامل بؤس علوان المواطن وشقائه.

ومن الآخر الذي حضر في متن القصة: جندي بوابة المتحف الحربيّ، وهو ــ أيضًا ــ شخصيّة مماثلة لجندي الحراسة ــ قاسٍ مثله، لكنّها قسوة مقنَّعة "(مدَّ له جندي البوابة بريالٍ ص١٩٠)"، فهُنا ركلة معنويّة، ويحمل ــ أيضا ــ دلالة على أن من يعمل في هذا البلد/ اليمن لم يكن بأحسن حال ممن لا يعمل؛ إذ لم يستطع الجندي أن يتصدق إلا بريال، هذا ما زاد عن حاجته ربما، وقد يكون في هذا دلالة على شح الإنسان وبخله في صنعاء؛ نظرًا لسوء الأحوال المعيشية، والذي يتضح من تفاصيل هذه القصة.

وفي قوله: "سأل أحدهم: هيه كم الساعة! لم يرد عليه، سأل آخر كم الوقت؟ نظر إليه دون أن يتفوه بكلمة! (ص١٩٠)" دلالة على أن الوقت أضحى مفقودًا، ولا أحد يجيب على تساؤلات علوان عنه، فكلٌّ بهمومه غارق، وفي حياته منغمِس، وكأنّهم يعيشون منعزلين عن بعض، ولسان حال كل أحد منهم يتمّتم: نفسي، نفسي، بل وبدا الوقت وكأنه شيءٌ لا يعرفونه.

وفي موقف (علوان) مع الناس والجنود الثلاثة بالقرب ساعة ميدان التحرير امتدادا لتصوير ذلك المجتمع شديد القسوة، لا تكاتف فيه ولا رحمة " الكل ينظر إليه في بلاهة، وثلاثة من الجنود يركلونه بشدّة! ثم يسحبونه...

صرخ أحدهم في وجهه(ص١٩١)"، وقد توقّع (علوان) من مجتمعه ــ بما فيهم الجنود ــ أنْ يصفّقوا له، فرحينَ بما ظنّ أنّه فاعله (إصلاح الساعة)، ولكنْ لم يحدث من ذلك شيء، بل كان التهديد والركل هو جزاؤه (مفارقة). توقع أن يحملوه فرحين على الأكتاف، وأن يساعدوه على إكمال إصلاح الساعة. (ص ١٩٢)".

وقد جاء الآخر في القصة على هيئة (يرقات)، حيث يقول: " تعثر عدة مرات بمخلوقات تلحس وجهه...كانت كثيرة ضخمة، تزحف على الأرض، تلتهم كلّ شيء(ص١٩٢)" تلك اليرقات هم المرتزقة في السوق السوداء، الذين يصرفون النقود، وقد التصقوا بعلوان؛ ظنًّا منهم أنّه يحمل مالاً يُصرف، بيد أنّه لا يحمل سوى ما يكسي جسده من ثياب بالية" يزحف وهي تلعق، صرف.. صرف.. دولار.. استرليني.. صرف(ص١٩٢)".

٣ـ سيميائية المكان:

المكان في القصّة مفتوح؛ لأنّ الأحداث تقتضي الانفتاح، كما أنّ الأماكن تنوعت فيها، ولكنّه تنوّعٌ متماثلٌ، ولقد تمكّن القاصّ من توظيف المكان توظيفًا دلاليًّا، من مثل: "كشك التحرير(ص١٨٨)" الذي يغصّ بمئات الصحف والمجلّات، ولا يستطيع المثقّف المعدم أن يقرأ فيه لو مقالة واحدة! و"مارد الثورة(ص١٨٩)" فقد كشف عن المفارقة الحاصلة في حال المجتمع، من فقر وظلم، وتمايزٍ طبقيّ، وهو وإن كان رمزا للاتحاد والتلاحم والأمل ؛ فقد جاء على خلاف ذلك، فالجندي الذي بجانبه كان شديد القسوة على البشر/ علوان، في حين يحرس حجرًا(مارد الثورة)، ومن ذلك" المكان القريب من ساعة ميدان التحرير(ص ١٩٠ــ ١٩١)" ، ويُفترض أنْ يكون هذا المكان أشدّ أمنًا، وأكثر تحقيقًا للأمان، ولا سيما وبه الجنود ــ رمز

الأمن والأمان ــ ولكن شيئًا من ذلك لم يكن، فالخوف بات من الجنود ذاتهم، فهم من تلقّى علوان الركلات والتهديد منهم! ومن الأماكن الموجودة ــ أيضًا ــ في ثنايا القصة: "شارع القصرص١٩٢)"، وقد وجد فيه ما ينهش أشياءه، ويستولي على أشلاء ثيابه.

وفي المكان (الرصيف المقابل ــ الرصيف الآخر) في بنية القصة دلالة خاصّة ومعبرّة، فكأنّ الحياة في ذلك المجتمع جاءت على هيئة رصيفين متقابلين: الرصيف الأوّل يموج بالحياة المرتّبة المنظّمة "ليجد الشارع يغصّ من حوله بالناس(ص١٩١)"، والجنود متواجدون، وهم رجال الأمن والنظام، وإنْ كانوا للقسوة والعنف أقرب منهم للأمان، بينما الرصيف المقابل تزحف في كل زاوية من زواياه "كائنات مخيفة / أصحاب السوق السوداء لصرف النقود(ص١٩٢)"، تريد الاستيلاء على كل ما حولها، حتّى الأشياء العديمة القيمة (ملابس علوان البالية)، فالحياة على النقيض ــ تمامًا ــ من الرصيف الأوّل، وإلى هذا الرصيف يُنفى كلّ مالا أهمية له، وكأنّه عالم آخر، تتعالى فيه أصوات الفقر والطمع.

٤ـ سيميائية الزمان:

يبرز حضور الزمن في قصة (الظل العاري) من خلال المستويين: الاسترجاعي والاستشرافي، من مثل قوله: " سأشتري اليوم(ص١٨٩)"، وقوله: "سيحمل كل ما في الكشك(ص١٨٩)"، فالزمن فيهما زمن استشرافيّ، وفي قوله ــ أيضا: "تمنى لو يعرف(ص١٩٠)" زمن استشرافيّ، أما قوله: "من شنقها هكذا منذ سنين(ص١٩٠)" فهو زمن استرجاعيّ، وكذلك قوله: "تذكر موضوعًا قرأه منذ سنوات(ص١٩٠)" فهو زمن استرجاعيّ.

وفي قوله: "نهض بعد عدة ركلات، يجوب الشوارع...(ص١٩٠)" حذف، فلا نعلم أهو سأل الجنديّ عن سبب ركله أم صمت كعادته؟ أهو توسّل لذلك الجندي أنْ يتركه يتمدّد قليلاً، بعد أن أعيته شمس الظهيرة والسير المستمرّ أم لم يفعل؟

٥ ـ ٦ـ سيميائيتا العقدة والحلّ:

اشتملت قصّة (الظل العاري) على عقدٍ عدّة، وكانت كلّ عقدة تنتهي بحلّ ضدّ علوان وأهدافه، وهي من نحو ما يأتي:

ـ العقدة الأولى:

عدم توفُّر المال معه ليشتري الصحيفة، وحلّها: انتزاع صاحب الكشك الصحيفة من يديه، وذهابه لإكمال طريقه (يُنظر: ص١٨٩).

ـ العقدة الثانية:

تمدّده تحت ظلّ مارد الثورة بعد اكتوائه بلهيب الشمس، ولكنّه لم يهنأ؛ لأنّ جنديّ البوابة قد نهره، وقام بركْلِه، وحلّها: عندما نهض يجوب الشوارع؛ بحثًا عن ظلّ (يُنظر: ص١٨٩ــ ١٩٠).

ـ العقدة الثالثة:

تسلُّله إلى أطراف ظلّ المتحف الحربيّ، وإعطاء جنديّ البوابة له الريال (ركلة معنويّة)، وحلّها: ترك الريال على الحجر المجاور، ونهوضه بكرامة للبحث عمن يخبره عن الوقت (يُنظر: ص١٩٠).

ـ العقدة الرابعة:

جلوسه أمام الساعة المشنوقة على جدار المواصلات، محاولاً تشغيلها، ومن ثمّ تجمهُر الناس حوله، والجنود الثلاثة يركلونه، ويسحبونه

نحو الرصيف المقابل، وحلّها: انسحابه إلى الرصيف المقابل، حيث شارع القصر، باحثًا عن ظلّ (يُنظر: ص١٩٠ــ ١٩١).

ـ العقدة الخامسة:

التفاف اليرقات الضخمة حوله، والتهامها الملابس التي تغطي بعض أجزاء جسمه، وحلّها: عندما وصل إلى أطراف الرصيف الآخر، وقد تركته تلك الكائنات المخيفة؛ لينعم بحريته عاريًا، باحثًا عن ظلّ (يُنظر: ص١٩٢ــ ١٩٣).

ثالثاً:السيميائية عبر وسائل السرد:

١ـ سيميائية الحوار:

أ- الحوار الخارجي:

يبرز الحوار الخارجي في المتن القصصي في (الظل العاري) في قوله: " أيقظه صوت صاحب الكشك...ردّ عليه مدخلا يده في جيبه، اليوم سأشتري(ص١٨٩)"، وفي هذا دلالة على إصرار علوان، ومحاولته الإعلاء من نفسه.

ومن مظاهر الحوار الخارجي في القصة ما نجد في قوله: "سأل أحدهم: هيه! كم الساعة؟ ...سأل آخر: كم الوقت؟ نظر إليه دون أن يتفوه بكلمة! (ص١٩٠)" وهنا نلمس حرصه على الوقت، ولكنّه لا يبحث عن الزمن الطبيعيّ، وإنّما يبحث عن زمن الثورة والتجديد والتغيير، ويبحث عن الزمن الذي انتقلت إليه اليمن بعد الثورة، أما قوله: " صرخ أحدهم في وجهه: لقد عطّلت حركة المرور...(ص١٩١)"؛ فيحمل دلالة واضحة على قسوة المجتمع، والجنود الذين هم رمز الأمن والأمان (مفارقة).

وفي قوله: "وهي تنعق بصرف ...صرف.... (ص١٩٢)" دلالة على سوء الوضع الاقتصاديّ، الذي انعكس جليًّا على حياة علوان، والمجتمع عمومًا.

ب- الحوار الداخليّ:

يكمن الحوار الداخلي في المتن القصصي في (الظل العاري) في قوله: "يجوب الشوارع متسائلاً عن سرّ ثبات الشمس فوق رأسه دون بقية الناس! (ص١٩٠)" وفي: "حدّث نفسه: قد يكون قرار شنقها صادرا من وزير المواصلات، وعلى أن أساعده.... (ص١٩٠)"، كما نجد في قوله: "سأل

نفسه لماذا لا أجرِّب...ص (١٩٠)" وجميع هذه التساؤلات الداخليّة إنْ هي إلاّ نتاج الصراعات الثائرة في داخله، ورغبته في الثورة على الوضع، وحبّه للانتصار، وبحثه عن موقع المثقّف الحقيقيّ، والدور الذي يلعبه.

٢ـ سيميائية الوصف:

تبرز سيميائية الوصف في لقطات المشهد القصصي، والتي تبدو على هيئة صور فوتوغرافية للقصّة، وتتضح فيما يأتي:

اللقطة الأولى:

علوان بقامة مستقيمة، وثياب بالية، وشمس الظهيرة تغلّف الصورة بغبارٍ ضبابيٍّ، وصحف تفترش الأرض أمام كشك، يجتمع حوله أناس مزدحمين.

اللقطة الثانية:

أناس يحملون في أيديهم صحفًا، وشخصٌ من بينهم بيده عشر صُحفٍ وعدة مجلات، وعلوان يبتسم وهو ينظر إلى صاحب الكشك.

اللقطة الثالثة:

علوان واقف يتحسّس جيوبه، وصاحب الكشك يراقبه بفطنة وشراسة.

اللقطة الرابعة:

علوان ملتقطٌ إحدى الصحف، وصاحب الكشك منشغلٌ عنه قليلاً.

اللقطة الخامسة:

صاحب الكشك غضبان يصرخ في وجه علوان، وعلوان يتوسّل إليه بنظرات مسطّحة.

اللقطة السادسة:

علوان منخفض الرأس، وإحدى يديه في جيبه، والأخرى ينتزع صاحب الكشك الصحيفة منها.

اللقطة السابعة:

علوان مبتسم، وهو ماضٍ ؛ باحثًا عن ظلّ.

اللقطة الثامنة:

علوان متمدّدٌ تحت ظلّ مارد الثورة، وركلات مصوّبة تجاهه من قبل جنديّ الحراسة.

اللقطة التاسعة:

علوان تحت ظلّ المتحف الحربي، وهو يبتسم، والريال الذي أعطاه الجندي بجانبه على حجر مجاور، وجنديّ البوابة يقف بجانبه، وقد همّ علوان بالنهوض.

اللقطة العاشرة:

علوان يجلس في وسط الشارع، أمام الساعة المعلّقة على جدار عالٍ قرب مقر وزارة المواصلات، آخذًا جلسة الأرنب، ومركزًا نظره في ساعة ميدان التحرير، ووجهه يتفصّد عرقًا.

اللقطة الحادية عشرة:

الشارع المقابل لجدار المواصلات، وقد ازدحم بالناس الذين ينظرون في بلاهة، وثلاثة من الجنود يركلون علوان، والدهشة تعلو ملامحه.

اللقطة الثانية عشرة:

علوان يقف في شارع القصر، ويرقات ضخمة قد التصقت بجسمه؛ لتجرّده ممّا يكتسي (اليرقات هم أصحاب السوق السوداء الذين يصرفون النقود).

اللقطة الثالثة عشرة:

علوان على الرصيف الآخر، وقد تركته تلك اليرقات عاريًا، والفرحة ترتسم على محياه، بأنْ خرج كامل الأعضاء، وسليمها، بعد هجوم تلك المخلوقات.

التحليل وفق الآليات الإجرائية للمنهج السيميائي:

- التحليل العاملي:

يمكن تطبيق إجراء التحليل العاملي على قصة (الظل العاري) مثلما يأتي:

ــ الروائي: محمد الغربي عمران.

ــ المرسل (الراوي): علوان.

ــ المرسل إليه: المتلقيّ.

ــ الفاعل: الفقر.

ــ مساعد العامل: (صاحب الكشك ــ جنديّ الحراسة ــ الوزير الآنسيّ ــ الجنود ــ اليرقات [أصحاب الصرافة في السوق السوداء]).

ــ المعارض: الجندي الذي أعطاه النقود.

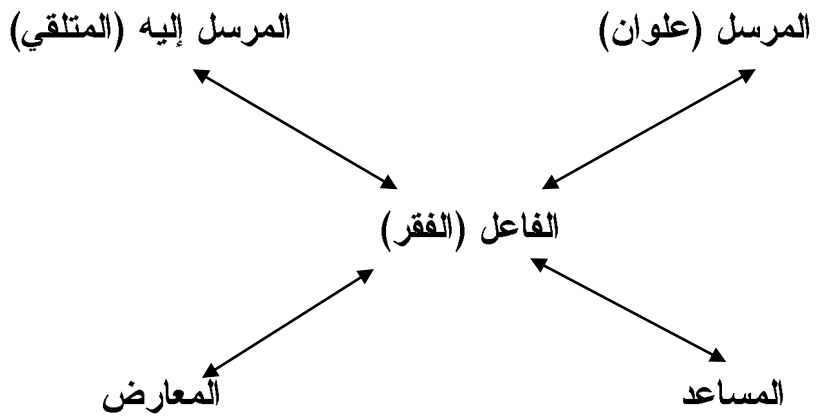

و إذا تمعنا في الدورة الدلالية النص؛ يتضح أن علوان سعى إلى الخروج من منطق الثابت، والدخول في منطق المتحول، الذي يحاول أن يعدل الأوضاع ويمنح الحقوق، إن الدخول إلى هذا المنطق مرهون بالانتقال من الفضاء الفعلي(اليمن) إلى الفضاء المنشود(اليمن الحلم بعد الثورة) في أنه لم يتحقق هذا الفضاء، ولم يحقق علوان ما يصبو له، وقد اتضحت هذه

المعارضة العنيفة لطموحات علوان، ورغبته في كرامة العيش، ويبرز ذلك خلال الخطاطة السيميائية الآتية:

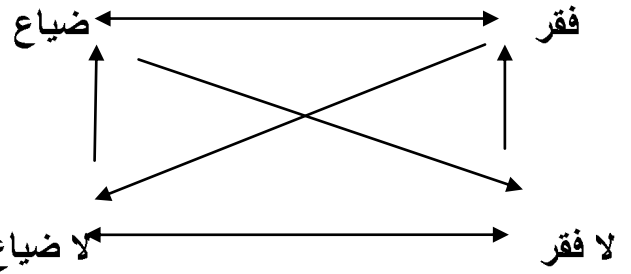

▪ المربع السيميائي:

وبتطبيق المربع السيميائي على أحداث القصة، ينجلي ما يأتي:

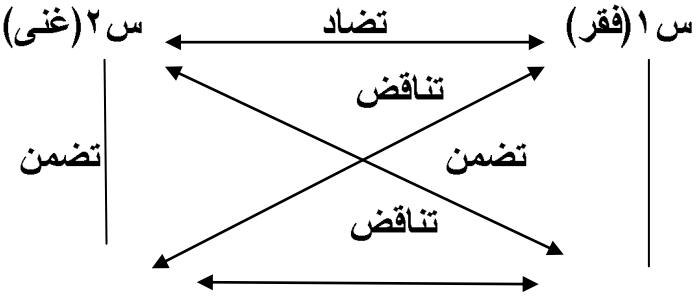

١ـــ التضاد بين [س١(الفقر)وس٢(الغنى)] وبين [س٢(الغنى) وس١(الفقر)].

٢ـ التناقض بين [س١(الفقر) و- س١(اللافقر)] وبين[س٢(الغنى) و- س ٢(اللاغنى)].

٣ـ التضمين بين [س١(الفقر) و- س٢ (اللاغنى)] وبين [س٢(الغنى) و- س١(اللافقر)].

ـ سيميائية العلامات الأيقونية:

أ- الأيقونات الحسيّة:

من أبرز الأيقونات المحسوسة في القصة ما يأتي:

قامته المديدة ــ ملابسه الداكنة ــ غبار شمس الظهيرة ــ الصحف الممدّدة ــ الكشك ــ ملامح ممجوجة (ص١٨٨)"، و " نظرات مسطّحة ــ مارد الثورة (ص١٨٩)"، و"المتحف الحربيّ ــ ريال ــ الساعة المشنوقة على جدار المواصلات(ص١٩٠)"، و" جلسة الأرنب ــ شارع القصر ــ يرقات(١٩٢ص)"، وورقة التوت(ص١٩٣)".

ب- الأيقونات المعنويّة:

من مثل: "دفن وجهه ــ سقطت من ملامحه ابتسامة ــ لذّة (ص ١٨٩)"، و"دوت بداخله صرخة قوية(ص١٩١)".

- التحليل المعنويّ:

ويبرز ذلك في القصة من خلال ثنائيّة التشاكل (التماثل) والتبايُن، وفيما يأتي تبيان ذلك:

مستويات التماثل:

أ - التماثل الصرفيّ:

شاعت في القصّة الألفاظ المشتقّة كاسم الفاعل، ابتداءً من العنوان، من مثل: (العاري ــ الداكنة ــ مُزدحِم ــ صاحب ــ جازمًا ــ مُتمرِّس ــ باحثًا ــ المُتكرِّرة ــ مُدخلاً ــ مارد ــ مُتسائِلاً ــ المُجاوِر ــ مُبتسِمًا ــ صادرًا ــ مُصوِّبًا ــ آخِذًا ــ الخارجيّ ــ المُتراكِم ــ الشارع ــ مُندهِشًا ــ المُقابِل ــ الشاحبة ــ مُتّجهًا ــ عالقة ــ عاريًا).

فالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية السائدة هي من صنع الإنسان ذاته، فهو الفاعل والمشكِّل لها، ولم يكن غيره هو الذي حصره في تلك النقطة الضيّقة، فلو حرص على الوقوف في وجه الظروف، ومحاربة الكسل، وطرد الدخلاء على المجتمع، لما حدث ذلك كلّه، وكأنّه يحمّل الفرد مسؤولية ذلك ابتداءً.

ب- التماثل النَحْوِيّ:

شاع في القصّة ورود الحال في أكثر من موضع، من مثل: "انتصب علوان بقامته المديدة (ص ١٨٨)"، و"الجميع يتفرسون بملامح ممجوجة(ص١٨٨)"، و"وقف وسط الشارع وقد ركّز نظره إليها(ص١٩١)"، و"انسحب وقد رسم على ملامحه(ص١٩٢)"، و "باحثًا ــ مدخلاً ــ متسائلاً ــ مبتسمًا ــ مصوِّبًا ــ مندهشًا ــ فرحينَ، متّجهًا ــ سعيدًا ــ فرحًا ــ عاريًا"، فلمّا كانت القصّة بمد لولاتها استهجانًا للوضع الاقتصادي والاجتماعي واستنكارًا لأحداثه، أصبحت تموج بذكر الأحوال[مفردة وجمل].

ج ـ التماثل الدلالي:

شاعت الألفاظ الدالّة على الحركة والأصوات في القصة؛ انعكاسًا للوضع المتعايَش والمنقول في القصّة، من مثل: (يستعرض ــ يتفرّسون ــ يلتقط ــ ابتسم ــ يتحسّس ــ يُراقِب بعيونِ قطٍّ متمرِّس ــ يقلّبها ــ أيقظه ــ صوت ــ ارتفع صوت ــ انتزعت ــ سقطت ــ ابتسامة ــ تمدّد ــ أحسّ ببرودة ــ نهره ــ نهض ــ ركلات ــ يجوب ــ التسلّل ــ مدّ ــ أخذه ووضعه ــ يتفصّد ــ ارتفع ــ تك.. تك ــ دوت صرخة ــ تلفّت ــ يغصّ ــ يركلونه ــ صرخ ــ غاصت ــ تعثّر ــ تزحف ــ تلتهم ــ تلعق ــ صرخ ــ يستغيث ــ تنعق ــ يجوب).

وقد اشتملت القصّة من بدايتها ألفاظًا، تحمل في مدلولاتها الخفيّة عواطف عميقة، ومشاعر دفينة، حتّى وصلت القصّة إلى قبيل نهايتها، حيث برزت الألفاظ المعبّرة صراحةً عن المشاعر والعواطف إلى السطح، من مثل: (كل شي، حتى الأحلام ... الكرامة)، وكأنّه يشير إلى أنّ الأمور مهما اختفت، واحتجبت خلف الأقنعة والأحجبة، فلا بدّ أنْ تنكشف لا محالة.

وقد شاع في القصة تكرار بعض الدوالّ، من مثل: (الشمس)؛ فقد وردت كلمة الشمس في القصّة، من مثل: "غبار شمس الظهيرة(ص١٨٨)"، و" شمس صنعاء(ص١٨٩)"، و" سرّ ثبات الشمس(ص١٩٠)"، فلولا الضوء(الشمس) ما وُجِدَ الظلّ، الذي تصدّر عنوان القصّة، وانتشر فيها، ولا يزال علوان يبحث عنه.

كما ورد لفظ (الظلّ)؛ وقد تكرّر في القصّة، من مثل: (يبحث عن ظلّ ــ أعجبه الظلّ المجاور ــ وجود ظلّ كبير ــ أطراف الظلّ ــ يبحث عن ظلّ بعد أنْ حرّرته اليرقات....) [١].

كما ورد الدال(الابتسام) باشتقاقاته المتعدّدة في القصّة، من مثل:(وابتسم جازمًا- يبتسم في وجه صاحب الكشك ــ سقطت من ملامحه ابتسامة ــ نهض مبتسمًا ــ تهلّلت ملامحه بابتسامةٍ عريضةٍ ــ رسم على ملامحه الشاحبة ابتسامة) [٢]، إن علوان متفائل، فالتغيير للأفضل سيبدأ عمّا قريب، أو ربّما تكون تلك الابتسامات هي ابتسامة المكلوم؛ فأصدق الألم ابتسامة في عيونٍ تَدمع.

---

(١) ينظر هذا البحث ص١٣.

(٢) ينظر: السابق، ص١٥.

وقد تردّدت مفردة (الساعة) في القصّة من مثل:" كم الساعة ــ تأمّل الساعة ــ يحاول إصلاح الساعة(ص١٩٠)"، و"أمعاء الساعة ــ جوف الساعة ــ على تروس الساعة ــ الأجزاء الداخليّة للساعة ــ حركة تروس الساعة ــ بدأت الساعة تعمل (ص١٩١)"، و" إكمال إصلاح الساعة ــ ساعة ميدان التحرير(ص١٩٢)"، فالوقت ذو قيمة عالية، ولاسيما إذا كان هناك انتظار شيء طال انتظاره؛ كالتغيير، والتحرّر من الظلم، وكأنّ الساعة في هذه القصّة ممّا يشترك فيه الناس جميعًا، ولكنّها معطلة كأحلامهم، فقد لجأ علوان لإصلاحها بعد أنْ رأى ما رأى من انعزال كلّ شخصٍ بذاته، وشيوع الأنا، وتقديم المصالح الفرديّة على مصلحة الجماعة، لجأ إلى ذلك علّه يستطيع أنْ يغيّر شيئًا، أو فليبدأ ــ هو ــ التغيير المنتظَر، وفي الحدث الذي اشتمل على محاولة علوان إصلاح الساعة، وانغماسه في تلك الحالة الغريبة ، حتى أصبح لا يُحسّ بمن حوله، ولم ينهضْ إلاّ على ركلات الجنود، وذهول الناس من حوله، كأنّ الروائيّ أراد أنْ يعبّر عن الغيبوبة التي يعيشها المجتمع، ولن يستفيق منها إلاّ بعد أنْ تدوّي بداخله صرخة قويّة، ويتلقّى ركلات موجعة من طرفٍ ما.

ـ مستويات التباين:

لقد شاعت المفارقات بشكل واضح في ثنايا قصة (الظل العاري)، ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

ــ " تأمل علوان ملامح صاحب الكشك، وابتسم جازمًا أنه لا يُجيد القراءة(ص١٨٩)"، تبدو المفارقة في حال صاحب الكشك، وقد اكتظ بالصحف والمجلات والكتب، وهو لا يعرف ما تحمله سطورها، فهو لا يجيد القراءة والكتابة.

ــ " يتحسّس جيوبه (ص١٨٩)" فذلك اللبس البالي يحمل ما تعارف عليه الناس ليكون مخبئا للمال/ الجيوب، ولكنْ لا مال بحوزته، ولا حاجة لذلك الجيب، الذي يتحسسه علوان.

أما دوال الابتسام في القصة فهي علامات توحي بأنه شخص يطمح إلى السعادة، يتظاهر بها، وإن كانت المعطيات جميعها من حوله تحتم عليه العبوس لا الابتسام، لكنه لا يزال يبتسم، وهنا مفارقة واضحة للعيان.

وفي قوله: "مر بجوار (مارد الثورة) ...نهره جندي الحراسة...نهض بعد عدة ركلات (ص١٨٩ــ ١٩٠)"، وكذلك الركلات التي وجهها الجنود الثلاثة لعلوان، وهو يظنّ أنه قد أحسن صنعًا بإصلاحه الساعة ــ كما كان يتوهم، وهو في رأيه قد قدم خدمة لمجتمعه، حقها الاحتفاء، والثناء "وثلاثة من الجنود يركلون بشدة! ثم يسحبونه نحو الرصيف المقابل، صرخ أحدهم في وجهه: لقد عطلت حركة المرور! وإن عدت لها فستندم(ص١٩١)"، جميعها تحمل مفارقات جلية؛ فالجنود باتوا مصدر خوف لا حماية، وأعمال المساعدة في خدمة المجتمع/ إصلاح الساعة أصبحت جرمًا وذنبًا.

النتائج:

من خلال ما سبق يمكن الخلوص إلى النتائج الآتية:

ـ تحيل لفظة (السيمياء) في اللغة إلى العلامة والإشارة، والسيميولوجيا (السيميوطيقا) ـ لدى الدارسين ـ تعني علم أو دراسة العلامات (الإشارات) دراسة منظمة منتظمة، ويفضّل الأوربيون مفردة (السيميولوجيا)؛ التزامًا منهم بالتسمية السوسيرية، أما الأمريكيون فيفضّلون (السيميوطيقا) التي جاء بها المفكر والفيلسوف الأمريكي تشارلس ساندرز بيرس، في حين يدعو العرب ـ خاصة أهل المغرب العربي ـ إلى ترجمتها بـ (السيمياء).

ـ يهدف المنهج السيميائي إلى تبيان شبكة العلاقات القائمة بين عناصر الدالّ من حروف، وكلمات، وعبارات، وذلك من منطلق العلاقة التي تقوم بين العمل الأدبي، ومحيطه الخارجي، كما يهتم ببناء الخطاب وتنظيمه، ولعل هذا ما دفع بعض الدارسين إلى وصف السيميائيات بصفة "النّصِّية".

ـ تعد قصة (الظل العاري) من القصص ذات الحدث الكابوسي، وهذا الاتجاه اقترن بالكاتب التشيكي فرانز كافكا Franz Kafka والذي نشأ مع نهاية الثلث الأول من القرن العشرين.

ـ عند تحليل القصة وفق المستويات، فإن العنوان بوصفه نصًّا موازيًّا كان ذا حضور واضح في تحريك دلالات القصة، وقد ساعد ارتباطه بالمتن القصصي على تفكيك رموز النص السردي، وتجليتها.

ـ إن تحليل قصة (الظل العاري) وفق عناصر السرد؛ ممثلة في سيميائية الأحداث، وسيميائية الشخصيات، وسيميائية المكان، وسيميائية

الزمان، وسيميائيتي العقدة والحل؛ قد أسهم في دراسة العلاقات بين الدوال ومداليلها في بنية القصة.

ـ لقد حضرت السيميائية من خلال وسائل السرد في القصة وفق المستوى الحواري والمستوى الوصفي، وساهمت بشكل فاعل في تبيان شبكة العلاقات القائمة بين عناصر الدالّ من حروف، وكلمات، وعبارات، وذلك من منطلق العلاقة التي تقوم بين العمل الأدبي، ومحيطه الخارجي،

ـ لقد تم تطبيق المنهج السيميائي على قصة الظل العاري؛ باستخدام: التحليل العامليّ، والمربع السيميائي، والعلامات الأيقونية، والتحليل المعنوي، وكان لجملة الآليات الإجرائية دور بارز في تحليل البنى التي تحكم نسيج المتن القصصي، ومعرفة طبيعة العلاقات بينها.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

ـ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، طباعة مجمع الملك فهد، المدينة المنورة.

ـ قصة الظل العاري، محمد الغربي عمران، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، اليمن، ١٩٩٨م.

ثانياً: المراجع:

١ـ الكتب:

ـ البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الجزء الأول.

ـ تحولات المعنى المراوغ، د. أبو اليزيد الشرقاوي، إصدارات نادي الباحة الأدبي.

ـ جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق: منير يعلي، دار العلم للملايين، بيروت، الجزء الثاني، ١٩٨٧م.

ـ دليل الناقد الأدبي، د. ميجان الرويلي، د. سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٥م.

ـ شيفرة أدونيس الشعرية ـ سيمياء الدال ولعبة المعنى، محمد صابر عبيد، منشورات دار الاختلاف، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

ـ علم الدلالة عند العرب، دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة، عادل فاخوري، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م.

ـ لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، المجلد الثاني عشر، دون تاريخ طبعة.

ـ المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج٢، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ طبعة.

ـ مع القصة القصيرة، يوسف الشاروني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م.

ـ مناهج النقد الأدبي، د. يوسف غليسي، جسور، الطبعة الأولى،٢٠٠٧م.

ـ نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، حسين خمري، منشورات الاختلاف، الجزائر،٢٠٠٧م.

٢ـ الرسائل والدوريات والمقالات:

ـ حركية النموذج العاملي، واستراتيجيته في الخطاب الروائي-رواية حائط المبكى لعز الدين جلولي أنموذجا: فاطمة الزهرة تلعيش، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة زيان عاشور، الجلفة-الجزائر.

ـ سيميائية العنونة من عتبة التسمية إلى فضاء المتن الشعري، د. علي صليبي مجيد، مجلة كلية التربية الأساسية، بابل، العراق، العدد الثاني عشر، ٢٠١٣م.

ـ السيميوطيقا والعنونة، د. جميل حمداوي، عالم الفكر، الكويت، المجلد الخامس والعشرون، العدد الثالث والعشرون، ١٩٧١م.

ـ مدخل إلى المنهج السيميائي، جميل حمداوي، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد الثالث، مارس ١٩٩٧م.

فهرس الموضوعات

م	الموضـوع	الصفحة
١-	ملخص	٦٠٠
٢-	Abstract	٦٠١
٣-	أولا: السيميائية منهجاً:	٦٠٢
٤-	طرائق التحليل السيميائي:	٦٠٧
٥-	التحليل المعنوي:	٦١٠
٦-	التحليل عبر المستويات:	٦١٢
٧-	أولاً: سيميائية النص الموازي/ العنوان:	٦١٢
٨-	ثانياً: السيميائية عبر عناصر النصّ السردي:	٦١٥
٩-	ثالثاً:السيميائية عبر وسائل السرد:	٦٢٦
١٠-	التحليل وفق الآليات الإجرائية للمنهج السيميائي:	٦٢٩
١١-	النتائج:	٦٣٦
١٢-	المصادر والمراجع	٦٣٨
١٣-	فهرس الموضوعات	٦٤٠